

## سورة الفتح

معاني الكلمات :

يهديك : يثبتك .

السكينة : السكون والطمأنينة .

لعنهم : أبعدهم من رحمته .

أعد : هيا .

تعزروه : تنصروه .

توقروه : تعظموه .

تسبحوه : تنزهوه عما لا يليق .

بكرة وأصيلاً : أى فى كل وقت .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نعلم فضل الله على المؤمنين .

٢ - أن نقف على عاقبة المنافقين والمشركين .

٣ - أن نتعرف على وظيفة الرسول .

المحتوى التربوى :

تفتتح السورة بهذا الفيض الإلهى على رسوله ﷺ : فتح مبين ، ومغفرة شاملة ، ونعمة تامة وهداية ثابتة ، ونصر عزيز ، إنها جزاء الطمأنينة التامة لإلهام الله وتوجيهه ، والاستسلام الراضى لإيمانه وإشارته ، والتجرد المطلق من كل إرادة ذاتية ، والثقة العميقة بالرعاية الحانية ، يرى الرؤيا فيتحرك بوحياها ، وتبرك الناقة ، ويتصايح الناس : خلأت القصواء ، وما خلأت القصواء ، وحين يشاع أن عثمان قتل يقول ﷺ : « لا نبرح حتى نناجز القوم » ويدعو الناس إلى البيعة فتكون بيعة الرضوان التى فاض منها الخير على الذين فازوا بها وسعدوا ، وكان هذا هو الفتح إلى جانب الفتح الآخر الذى تمثل فى صلح الحديبية .

وكان فتحا في الدعوة ؛ فقد دخل في تينك الستين بين صلح الحديبية وفتح مكة مثل ما كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر ، وكان فتحا في الأرض فقد أمن المسلمون شر قريش .

ثم مضى السياق يصف نعمة الله على المؤمنين بهذا الفتح ، ومس يده لقلوبهم بالسكينة ، وما ادخره لهم في الآخرة من غفران وفوز ونعيم ، والسكينة حين ينزلها الله في قلب ، تكون طمأنينة وراحة و يقينا وثقة ووقاراً وثباتاً واستسلاماً ورضا ، وحين يسترجع الإنسان صورة المسلمين في الحديبية يدرك معنى السكينة، ويحس برد السكينة وسلامها في تلك القلوب بعد هزتها العيفة، تلك القلوب التي استجابت لله ولرسوله ، وانقادت لحكم الله ورسوله، فلما اطمأنت قلوبهم لذلك واستقرت زادهم إيماناً مع إيمانهم .

ويلوح بأن النصر والغلب لم يكن عسيراً ولا بعيداً ، بل كان هيناً يسيراً على الله لو اقتضت حكمته يومئذ أن يكون الأمر كما أرادته المؤمنين ، فإن الله جنوداً لا تحصى ولا تغلب ، تدرك النصر وتحقق الغلب وقتها يشاء ، ولكن الله تعالى شرع لعباده المؤمنين الجهاد والقتال لما له في ذلك من الحكمة البالغة والحجة القاطعة فالله عليم حكيم .

وكانت السكينة وزيادة الإيمان ليحقق لهم ما قدره من فوز ونعيم ليكون جزاء المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار ماكثين فيها أبداً ، ويغفر سيئاتهم ، وإذا كان هذا في حساب الله فوز عظيم ، فوز عظيم في حقيقته ، وفوز عظيم في نفوس من ينالونه من عند الله مقدراً بتقديره ، موزوناً بميزانه ، ولقد فرح المؤمنون يومها بما كتب الله لهم ، وعلموا منه ما أفاض الله على رسوله ، تطلعوا إلى نصيبهم هم وسألوا عنه ، فلما سمعوا وعلموا فاضت نفوسهم بالرضا والفرح واليقين .

ثم أنبأهم بجانب آخر من جوانب حكمته فيما قدر في هذا الحادث ، وهو مجازاة المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ، بما يصدر عنهم من عمل وتصرف ، وقد جمع النص بين المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات في صفة سوء الظن بالله ، وعدم الثقة بنصرته للمؤمنين، وفي أنهم جميعاً عليهم دائرة السوء فهم محصورون فيها ، وهى تدور عليهم وتقع بهم ، وفي غضب الله عليهم ولعنته لهم ، وفيما أعده لهم من سوء المصير ، ذلك أن النفاق صفة مردولة لا تقل عن الشرك سوءاً ، بل إنها أخطر ، ولأن أذى المنافقين والمنافقات للجماعة المسلمة لا يقل عن أذى المشركين والمشركات ، وإن اختلف هذا الأذى وذاك في مظهره ونوعه .

وقد جعل الله صفة المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات هى ظن السوء بالله ، فالقلب المؤمن حسن الظن بربه ، يتوقع منه الخير دائماً ، يتوقع منه الخير في السراء والضراء ، ويؤمن بأن

الله يريد به الخير في الحالين، وسر ذلك أن قلبه موصل بالله، وفيض الخير من الله لا ينقطع أبداً، فمتى اتصل القلب به لمس هذه الحقيقة الأصيلة وأحسها إحساس مباشرة وتذوق، فأما المنافقون والمشركون فهم مقطوعو الصلة بالله، ومن ثم لا يحسون تلك الحقيقة ولا يجدونها فيسوء ظنهم بالله، وتتعلق قلوبهم بظواهر الأمور، ويبنون عليها أحكامهم.

وقد جمع الله في الآية أعداء الإسلام والمسلمين من شتى الأنواع، وبين حالهم عنده، وما أعده لهم في النهاية؛ ثم عقب على هذا بما يفيد قدرته وحكمته، فلا يعيبه من أمرهم شيء، ولا يخفى عليه من أمرهم شيء، وله جنود السموات والأرض وهو العزيز الحكيم.

ثم عاد بالخطاب إلى رسول الله ﷺ منوها بوظيفته مبينا للغاية منها، موجها المؤمنين إلى واجبه مع ربهم بعد تبليغهم رسالته، مع ردهم في بيعتهم إلى الله مباشرة، وعقد العقدة معه جل جلاله، وذلك حين يبايعون الرسول ﷺ ويتعاقدون معه، وفي ذلك تشريف لبيعة الرسول وتكريم واضح لهذا التعاقد، فالرسول ﷺ شاهد على هذه البشرية التي أرسل إليها، يشهد أنه بلغها ما أمر به، وأنها استقبلته بما استقبلته، وأنه كان منها المؤمنون، ومنها الكافرون، ومنها المنافقون؛ وكان منها المصلحون، ومنها المفسدون، فيؤدى الشهادة كما أدى الرسالة، وهو مبشر بالخير والمغفرة والرضا وحسن الجزاء للمؤمنين الطائعين، ونذير بسوء المتقلب والغضب واللعنة والعقاب للكافرين والمنافقين والعصاة والمفسدين.

هذه وظيفة الرسول ﷺ، ثم يلتفت بالخطاب إلى المؤمنين، يكشف لهم عن الغاية المرجوة لهم من الرسالة، أنها الإيمان بالله ورسوله ثم النهوض بتكاليف الإيمان، فينصرون الله بنصرة منهجه وشريعته، ويوقرونه في نفوسهم بالشعور بجلاله، وينزهونه بالتسبيح والتحميد طرفي النهار في البكور والأصيل، وهي كناية عن اليوم كله، والغرض هو اتصال القلب بالله في كل آن، فهذه هي ثمرة الإيمان المرجوة للمؤمنين من إرسال الرسول ﷺ شاهداً ومبشراً ونذيراً.

ما ترشدنا إليه الآيات تروياً :

١ - أثر القرآن الكريم، والتربية النبوية الواضح في التغيير حيث اطمأنت نفوس المؤمنين لتكاليف هذا الدين وتحمل مسؤولياته.

٢ - ضرورة الوفاء بالعهد والالتزام بالوعد وخاصة إذا كان عهداً مع الله تعالى.

٣ - من فتح الله على رسوله وعلى المؤمنين مغفرة الذنوب وإتمام نعمة الدين.

### معاني الكلمات :

يباعون : يعاهدون .

نكت : نقض .

يملك : يستطيع .

بورا : هالكين .

سعيرا : نارا شديدة موقدة .

ذرونا : اتركونا .

يفقهون : يفهمون .



### الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نعلم رفعة قدر المؤمنين الذين بايعوا رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان .

٢ - أن نعلم سباحة الإسلام ويسره في قبول الأعدار .

٣ - أن نستشعر خطورة المنافقين .

### المحتوى التربوي :

قد جاء ﷺ ليصلهم بالله ، ويعقد بينهم وبينه بيعة ماضية لا تنقطع بغية رسول الله ﷺ عنهم ، فهو حين يضع يده في أيديهم مبايعا ، فإنما يبايع عن الله ، وهو تصوير رهيب جليل للبيعة بينهم وبين رسول الله ﷺ ، والواحد منهم يشعر وهو يضع يده في يده ، أن يد الله فوق أيديهم ، فالله حاضر البيعة والله صاحبها والله أخذها ، ويده فوق أيدي المتبايعين ، ومن ؟ الله فيا للروعة والجلال .

وإن هذه الصورة لتستأصل من النفس خاطر النكت بهذه البيعة - مهما غاب شخص رسول الله ﷺ - فالله حاضر لا يغيب ، والله أخذ في هذه البيعة ومعط وهو عليها رقيب ، وما من بيعة

بين الله وعبد من عباده إلا والعبد فيها هو الرابع من فضل الله ، والله هو الغنى عن العالمين ، والعبد الخاسر حين ينكث وينقض عهده مع الله فيتعرض لغضبه وعقابه على النكث الذى يكرهه ويمقتة ، فالله يحب الوفاء ويحب الأوفياء ويعطيهم الأجر الذى يقول عنه إنه عظيم عظيم بحساب الله وميزانه ، ووصفه الذى لا يرتقى إلى تصوره أبناء الأرض المقلون المحدودون الفانون .

وعندما يصل إلى حقيقة البيعة ، وإلى خاطر النكث وخاطر الوفاء ، يلتفت بالحديث إلى المحلفين من الأعراب ، الذين أبوا أن يخرجوا مع رسول الله ﷺ لسوء ظنهم بالله ؛ ولتوقعهم الشر والضر للمؤمنين الخارجين الذاهبين إلى قريش فى عقر دارها ، يلتفت إليهم لينبئ الرسول ﷺ عما سيعتدرون به إليه بعد عودته سالما هو ومن معه ، ويكشف له عن الأسباب الحقيقية لعدم خروجهم معه ، ويفضحهم ويقفهم مكشوفين أمام رسول الله ﷺ وأمام المؤمنين ، كما ينبئه بما فيه البشرى له وللخارجين معه ، وهو أنهم سيخرجون إلى مغنم قريبة ميسورة ، وأن المخلفين من الأعراب سيطلبون الخروج معه لينالوا من هذه المغنم السهلة ، ويلفته طريقة معاملتهم حينئذ والرد عليهم ، فلا يقبل منهم الخروج معه فى هذا الوجه القريب الميسور الذى سيقصر على من خرجوا من قبل وحضروا الحديبية ، والقرآن لا يكتفى بحكاية أقوال المخلفين والرد عليها ، ولكنه يجعل من هذه المناسبة فرصة لعلاج أمراض النفوس وهواجس القلوب ، والتسلل إلى مواطن الضعف والانحراف لكشفها تمهيداً لعلاجها والطب لها ، ثم لإقرار الحقائق الباقية والقيم الثابتة ، وقواعد الشعور والتصور والسلوك ، فالمخلفون من الأعراب سيقولون اعتذاراً عن تخلفهم : شغلنا أموالنا وأهلونا ، وليس هذا بعذر ، فللناس دائماً أهل وأموال ، ولو كان مثل هذا يجوز أن يشغلهم عن تكاليف العقيدة ، وعن الوفاء بحقها ما نهض أحد قط بها ، وسيطلبون استغفار الرسول ﷺ وهم ليسوا صادقين فى طلب الاستغفار ، فهم يقولون بألسنتهم ما ليس فى داخل قلوبهم .

هنا يرد عليهم بتقرير حقيقة القدر الذى لا يدفعه تخلف ، وبحقيقة القدرة التى تحيط بالناس وتتصرف فى أقدارهم كما تشاء ، وبحقيقة العلم الكامل الذى يصرف الله قدره على وفقه ، فالتوقف أو التلكؤ لن يدفع ضرراً ، ولا يؤخر نفعاً ، وانتحال المعاذير لا يخفى على علم الله ، ولا يؤثر فى جزائه وفق علمه المحيط ، وهو توجيه تربوى فى وقته وفى جوه .

وقد ظن المخلفون أن الرسول ومن معه من المؤمنين ذاهبون إلى حتفهم ، فلا يرجعون إلى أهليهم بالمدينة ، ولم يحسبوا حساباً لرعاية الله وحمايته للمصدقين المتجردين من عباده ، كما أنهم لم يقدروا أن الواجب هو الواجب ، بغض النظر عن تكاليفه كائنة ما كانت ، وأن طاعة رسول الله

ﷺ يجب أن تكون بدون النظر إلى الربح الظاهري والخسارة الشكلية ، فهي واجب مفروض يؤدي دون نظر إلى عاقبة أخرى وراءه . لقد ظنوا ظنهم ، وزين هذا الظن في قلوبهم ، حتى لم يروا غيره ، ولم يفكروا في سواه ، وكان هذا هو ظن السوء بالله ، الناشئ من أن قلوبهم بور ميتة جرداء لا حياة فيها ولا خصب ولا إثمار .

إن الميزان هو ميزان الإيمان ، ومن ثم يرد الله أولئك الأعراب إليه ، ويقرر القاعدة العامة للجزاء وفق هذا الميزان ، مع التلويح لهم برحمة الله القريبة ، والإيحاء إليهم بالمبادرة إلى اغتنام الفرصة والتمتع بمغفرة الله ورحمته ، لقد كانوا يعتذرون بأموالهم وأهلهم ، فماذا تنفعهم أموالهم وأهلهم في هذه السعير المعدة لهم إذا لم يؤمنوا بالله ورسوله؟ إنها كفتان فليختاروا هذه أو تلك على يقين ، فإن الله الذي يوعدهم هذا الإيعاد ، هو مالك السموات والأرض وحده ، فهو الذي يملك المغفرة لمن يشاء ، وهو الذي يملك العذاب لمن يشاء ، وهو يقرر هذه الحقيقة هنا لتستقر في القلوب ، ومغفرة الله ورحمته أقرب فليغتنمها من يريد قبل أن تحق كلمة الله بعذاب من لم يؤمن بالله ورسوله بالسعير .

ثم يلوح ببعض ما قدر الله للمؤمنين ، مخالفا لظن المخلفين بأسلوب يوحى بأنه قريب وأغلب المفسرين يرون أنها إشارة إلى فتح خيبر ، وقد يكون هذا ، ولكن النص يظل له إيحائه ولو لم يكن نصا في خيبر ، فهو يوحى بأن المسلمين سيفتح عليهم فتح قريب يسير ، وأن هؤلاء المخلفين سيدركون هذا فيطلبون أن يتبعوهم .

وعلى أية حال فقد أمر الله نبيه أن يرد المخلفين من الأعراب إذا عرضوا الخروج للغنائم الميسرة القريبة ، وقرر أن خروجهم مخالف لأمر الله ، وأخبر نبيه ﷺ أنهم سيقولون إذا منعوا من الخروج بل تحسدونا فتمنعونا من الخروج لتحرمونا من الغنيمة ، ثم قرر أن قولهم هذا ناشئ عن قلة فقههم بحكمة الله وتقديره ، فجزاء الممتخلفين الطامعين أن يحرموا ، وجزاء الطائعين أن يعطوا من فضل الله .

ما ترشدنا إليه الآيات تريوياً :

- ١ - وجوب الوفاء بالعهد ، وحرمة نقض العهد ونكثه .
- ٢ - إن أذى المنافقين لا يقل عن أذى المشركين للجماعة المسلمة ، وإن اختلف الأذى في نوعه ومظهره .

٣ - التوقف والتلكؤ عن طاعة الله لن يدفع ضرراً ولا يؤخر نفعاً .

معاني الكلمات :

تتولوا : تعرضوا .

حرج : ذنب .

يباعونك : يعاهدونك .

السكينة : الطمأنينة .

كف : منع .

آية : علامة .

سنة : طريقة .

خلت : مضت .



### الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نعلم مشروعية الاختيار والامتحان لمعرفة القدرات والمؤهلات .

٢ - أن نتعرف على أصحاب الأعداء في التخلف عن الجهاد .

٣ - أن نعلم أن سنة الله أنه ما تقا تل أولياء الله مع أعدائه في معركة إلا نصر الله أولياءه على أعدائه .

### المحتوى التربوي :

أمر الله نبيه أن يخبر المخلفين أنهم سيبتلون بالدعوة إلى جهاد قوم أشداء ، يقاتلونهم على الإسلام ، فإذا نجحوا في هذا الابتلاء كان لهم الأجر ، وإن هم ظلوا على معصيتهم وتخلفهم فذلك هو الامتحان الأخير ، ونلاحظ طريقة التربية القرآنية ، وطريقة علاج النفوس والقلوب بالتوجيهات القرآنية ، والابتلاءات الواقعية ، وهذا كله ظاهر في كشف نفوسهم لهم وللمؤمنين ، وفي توجيههم إلى الحقائق والقيم وقواعد السلوك الإيماني القويم .

ولما كان المفهوم من ذلك الابتلاء فرض الخروج على الجميع ، فقد بين الله أصحاب الأعداء الحقيقية الذين يحق لهم التخلف عن الجهاد بلا حرج ولا عقاب ؛ فالأعمى والأعرج معهما عذر دائم هو العجز المستمر عن تكاليف الخروج والجهاد ، والمريض معه عذر موقوف بمرضه حتى

يبرأ ، والأمر في حقيقته هو أمر الطاعة والعصيان ، فمن يطع الله ورسوله فالجنة جزاؤه ، ومن يتول فالعذاب الأليم ينتظره .

ينتقل السياق إلى الحديث عن المؤمنين ، وحديث مع المؤمنين ، مع تلك المجموعة الفريدة السعيدة التي بايعت رسول الله ﷺ تحت الشجرة ، و الله حاضر البيعة وشاهدها وموثقها ، ويده فوق أيديهم فيها وهو راض عنهم ، فقد علم ما في قلوبهم من حمية لدينهم لا لأنفسهم ، وعلم ما في قلوبهم من الصدق في بيعتهم ، وعلم ما في قلوبهم من كظم لانفعالاتهم تجاه الاستفزاز ، وضبط لمشاعرهم ليقفوا خلف كلمة رسول الله ﷺ طائعين مسلمين صابرين ، ويرسم التعبير السكينة نازلة في هدوء ووقار تضيء على تلك القلوب الحارة المتحمسة المتأهبة المنفعلة ، برداً وسلاماً وطمأنينة وارتياحاً ، وأجرى على أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم وحصل بذلك من الخير العام المستمر المتصل بفتح خيبر وفتح مكة ، ثم فتح سائر البلاد عليهم ، وما حصل لهم من العز والنصر والرفعة في الدنيا والآخرة ، فقد كانت هذه مغام كثيرة أعطاها الله للمؤمنين ، وفي الرضا والفتح والوعد بالغنائم تتجلى القوة والقدرة كما تتجلى الحكمة والتدبير ، وبها يتم تحقيق الوعد الإلهي الكريم .

وبعد ذلك التبليغ العلوي الكريم للرسول الأمين عن المؤمنين المبايعين يتجه بالحديث إلى المؤمنين أنفسهم ، الحديث عن هذا الصلح ، أو عن هذا الفتح الذي تلقوه صابرين مستسلمين ، وهذه بشرى من الله للمؤمنين ، ف الله أعد لهم مغام كثيرة ، وعاشوا بعد ذلك ما عاشوا وهم يرون مصداق هذا الوعد الذي لا يخلف ، وهنا يقول لهم : إنه قد عجل لهم هذه ، وهذه قد تكون صلح الحديبية ، كما أنها قد تكون فتح خيبر .

ويمن الله عليهم بأن كف أيدي الناس عنهم ، وقد كف الله عنهم أيدي المشركين من قريش كما كف أيدي سواهم من أعدائهم الذين يتربصون بهم الدوائر ، وهم قلة على كل حال ، والناس كثرة ، ولكنهم وفوا ببيعتهم ، ونهضوا بتكالييفهم ، فكف الله أيدي الناس عنهم وأمنهم ، وهذه الواقعة التي كرهوها في أول الأمر ، وثقلت على نفوسهم ، ف الله ينبئهم أنها ستكون آية لهم ، يرون فيها عواقب تدبير الله لهم ، وجزاء طاعتهم لرسول الله واستسلامهم ، مما ثبتت في نفوسهم أنها شيء عظيم وخير جزيل ، ويلقى السكينة في قلوبهم والاطمئنان والرضا واليقين ، وجزاء طاعتكم وامثالكم وصدق سريرتكم يهديهم صراطاً مستقيماً ، وهكذا يجمع لهم بين الغنم ينالونه ، والهداية يرزقونها ، فيتم لهم الخير من كل جانب في الأمر الذي كرهوه واستعظموه ، وهكذا يعلمهم أن اختيار الله لهم هو الاختيار ، ويربى قلوبهم على الطاعة المطلقة والامثال .

كذلك يمن عليهم ويشرهم بأخرى غير هذه لم يقدرها عليها بقوتهم ، ولكن الله تولاهما عنهم بقدرته وتقديره ، وتختلف الروايات في هذه الأخرى وأقرب ما يناسب السياق أن تكون هي فتح مكة ، بعد صلح الحديبية وبسبب من هذا الصلح الذي لم يدم سوى عامين ثم نقضه المشركون ، ففتح الله مكة للمسلمين بلا قتال تقريباً ، وكان الله على كل شيء قديراً .



ويقرر السياق لهم أنهم منصورون ، وأن الصلح في هذا العام لم يكن لأنهم ضعاف أو لأن المشركين أقوياء ، ولكنه تم لحكمة يريد بها ، ولو قاتلهم الذين كفروا لهزموا ، فتلك سنة الله حيثما التقى المؤمنون والكافرون في موقعة فاصلة ، وهكذا يربط نصرهم وهزيمة الكفار بسنة الكونية الثابتة التي لا تتبدل ، فأية سكينه أو أية ثقة ، وأي تثبيت يجده أولئك المؤمنون في أنفسهم ، وهم يسمعون من الله أن نصرهم وهزيمة أعدائهم سنة من سنته الجارية في هذا الوجود ؟ وهى سنن دائمة لا تتبدل ، ولكنها قد تتأخر إلى أجل ، ولأسباب قد تتعلق باستواء المؤمنين على طريقهم واستقامتهم الاستقامة التي يعرفها الله لهم ، أو تتعلق بتهيئة الجو الذي يولد فيه النصر للمؤمنين والهزيمة للكافرين ؛ لتكون له قيمته وأثره أو لغير هذا ، وذلك مما يعلمه الله ، ولكن السنة لا تتخلف والله أصدق القائلين .

يقول صاحب الأساس : « جاءت الفقرة الثانية فحدثنا عن النموذج القائم بحق الرسالة من إيمان ونصرة وتعظيم من خلال الكلام عن الذين بايعوا بيعة الرضوان ، فكانوا نموذجاً حقاً للمبايعين الصادقين ، وأرانا الله عز وجل ماذا أثابهم في الدنيا على هذا :

١ - إنزال السكينة عليهم .

٢ - الفتح القريب .

٣ - المغنم الكثيرة التي منها المعجل ، وهو ما سيعطيه إياهم في خير ، ومنها ما بعد ذلك .

٤ - كف أيدي الناس عنهم فلم يؤذوا في أنفسهم ولم يؤذ أهلهم في المدينة المنورة .

٥ - الهداية إلى الصراط المستقيم ، وفي ذلك بشارة لهم أنهم سيوفقون إلى العمل بالإسلام حتى يموتوا عليه .

٦ - الغنائم التي لم تكن تخطر ببالهم أنهم يقدرون عليها مما سيفتحه الله عليهم فيما بعد من فارس والروم وغيرهما .

٧ - البشارة لهم في كل معركة أنهم منصورون ، وفي ذلك تزكية لهم بأنهم يستحقون النصر الرباني ، لتوفر شروط ذلك فيهم ، وهذا كله بركات هذه البيعة الصادقة لرسول الله ﷺ إيماناً به ، وقياماً بحق نصرته ، وتوقيراً له ، أى تحقيقاً لما يطالب الله به عباده من قيام بحق رسالته .  
ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - كل من يخلص لله تعالى نيته وعمله ولا يخل على دين الله بشئ من نفسه أو ماله فإن الله تعالى يرضى عنه ويفوز فوزاً عظيماً في الدنيا والآخرة .

٢ - ربما يرى الإنسان في بعض الأشياء شراً ويكون فيها الخير الكثير له وللجميع ، وعلى المسلم أن يرضى بقضاء الله وقدره .

٣ - نصره الحق سنة الله التي لا تتبدل .

معاني الكلمات :

- أظفركم عليهم : مكنكم منهم .
- معكوفاً : محبوساً وممنوعاً .
- تطوؤهم : تهلكوهم .
- فتصيبكم : فينالكم .
- معرة : مكروه وعيب .
- تزيلوا : تفرقوا . الحمية : الكبرياء بالباطل والغضب الشديد .
- ليظهره : ليعليه .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نعلم خصوم المؤمنين من هم في ميزان الله ؟ وكيف ينظر إلى أفعالهم ؟
- ٢ - أن نتعرف على جانب من حكمته تعالى المغيبة وراء تقديره وتدبيره .
- ٣ - أن نعلم كرامة الله للمؤمنين إذ حمى ظهورهم من خلفهم مرتين .

المحتوى التربوي :

يذكر السياق امتنان الله على المؤمنين بكف أيدي المشركين عنهم ، وكف أيديهم عن المشركين من بعد ما أظفرهم على من هاجبهم ، مشيراً إلى ذلك الحادث الذي أراد أربعون من المشركون أو أكثر أو أقل أن ينالوا من معسكر المسلمين ، فأخذوا وعفا عنهم رسول الله ﷺ ، وهو حادث وقع يعرفه السامعون ، والله يذكره لهم ليرد كل حركة وكل حادث وقع لهم إلى تدبيره المباشر ، وليوقع في قلوبهم هذا الإحساس المعين بيد الله سبحانه وهي تدبر لهم كل شيء ، وتقود خطاهم ، كما تقود خواطرهم ، ليسلموا أنفسهم كلها لله بلا تردد ولا تلفت ، ويدخلوا بهذا في السلم كافة بكل مشاعرهم وخواطرهم واتجاههم ونشاطهم موقنين أن الأمر كله لله وهو بصير بهم ظاهرهم وخافيتهم ، فهو يختار لهم عن علم وعن بصر ولن يضيعهم ، ولن يضيع عليهم شيئاً يستحقونه .

ثم يحدثهم عن خصومهم من هم في ميزان الله ؟ وكيف ينظر إلى أفعالهم وصددهم للمؤمنين عن بيته الحرام ، وكيف ينظر إليهم هم عكس ما ينظر إلى خصومهم المعتدين ؟

فيسجل السياق أنهم في ميزان الله واعتباره الكافرون حقا الذين يستحقون هذا الوصف الكريه ، يسجله عليهم كأنهم منفردون به ، عريقون في النسبة إليه فهم أكره شيء إلى الله الذي يكره الكفر والكافرين كذلك يسجل عليهم فعلهم الكريه الآخر ، وهو صددهم للمؤمنين عن المسجد الحرام ، وصد الهدى وتركه محبوسا عن الوصول إلى محل ذبحه المشروع ، وهى كبيرة في الجاهلية والإسلام .

فلم يكن إذن كف الله للمؤمنين عنهم بقيا عليهم لأن جرمهم صغير ، كلا إنما كان ذلك لحكمة أخرى يتلطف الله سبحانه فيكشف عنها الله للمؤمنين ؛ فلقد كان هنالك بعض المستضعفين من المسلمين في مكة لم يهاجروا ، ولم يعلنوا إسلامهم تقية في وسط المشركين ، ولو دارت الحرب وهاجم المسلمون مكة وهم لا يعرفون أشخاصهم ، فربما وطؤوهم وداسوهم وقتلوهم ، فيقال : إن المسلمين يقتلون المسلمين ، ويلزمون بدياتهم حتى يتبين أنهم قتلوا خطأ وهم مسلمون .

وهناك حكمة أخرى وهى أن الله يعلم أن من بين الكافرين الذين صدوهم عن المسجد الحرام ، من قسمت له الهداية ، ومن قدر له الله الدخول في رحمته ، بما يعلمه من طبيعته وحقيقته ، ولو تميز هؤلاء وهؤلاء لأذن الله للمسلمين في القتال ، ولعذب الكافرين العذاب الأليم . وهكذا يكشف الله للجماعة المختارة الفريدة السعيدة عن جانب من حكمته المغيبة وراء تقديره وتدبيره .

ويمضى في وصف الذين كفروا ، وصف نفوسهم من الداخل بعد تسجيل صفتهم وعملهم الظاهر ، ففى قلوبهم حمية الجاهلية ، حمية لا لعقيدة ولا لمنهج ، إنما هى حمية الكبر والفخر والبطر والتعنت ، الحمية التى جعلتهم يقفون في وجه رسول الله ﷺ ومن معه ، يمنعونهم من المسجد الحرام ، ويحبسون الهدى الذى ساقوه أن يبلغ محله الذى ينحرف فيه ، مخالفين بذلك عن كل عرف وعن كل عقيدة ، كى لا تقول العرب إنه دخلها عليهم عنوة ، ففى سبيل هذه النعرة الجاهلية يرتكبون هذه الكبيرة الكريهة في كل عرف ودين ، وينتهكون حرمة البيت الحرام الذى يعيشون على حساب قداسته ، وينتهكون حرمة الأشهر الحرم التى لم تنتهك في جاهلية ولا إسلام ، وقد جعل الله الحمية في نفوسهم على هذا النحو الجاهلى ، لما يعلمه في نفوسهم من جفوة عن الحق والخضوع له .

فأما المؤمنون فحماهم من هذه الحمية ، وأحل محلها السكينة والتقوى ، والسكينة الوقورة الهادئة ، كالتقوى المتحرجة المتواضعة كلتا هما تليق بالقلب المؤمن الموصول بربه ، الساكن بهذه الصلة المطمئن بما فيه من ثقة ، المراقب لربه في كل خالجة وكل حركة ، فلا يتبطر ولا يطغى ، ولا يغضب لذاته إنما يغضب لربه ودينه ، فإذا أمر أن يسكن ويبدأ خشع وأطاع في رضا وطمأنينة ،

ومن ثم كان المؤمنون أحق بكلمة التقوى وكانوا أهلها ، وهذا ثناء آخر من ربهم عليهم إلى جانب الامتنان عليهم بما أنزل على قلوبهم من سكينته ، وما أودع فيها من تقوى ، فهم قد استحقوها في ميزان الله وبشهادته وهو تكريم بعد تكريم صادر عن علم وتقدير .

وتأتى البشرى ؛ بشرى تصديق رؤيا رسول الله ﷺ ودخولهم المسجد الحرام آمنين ، وتحليقتهم وتقصيرهم بعد انتهاء شعائر الحج أو العمرة لا يخافون ، وقد تحققت بعد عام واحد ، ثم تحققت بصورة أكبر بعد عامين اثنين من صلح الحديبية ، إذ تم فتح مكة وغلبة دين الله عليها ، ولكن الله سبحانه يؤدب المؤمنين بأدب الإيثار ، فالدخول واقع حتم ؛ لأن الله أخبر به ، ولكن المشيئة يجب أن تظل في نفوس المسلمين في صورتها الطليقة لا يقيدتها شيء ، حتى تستقر هذه الحقيقة في القلوب .

وتأتى البشرى الأخرى ؛ فلقد ظهر دين الحق ، ولا في الجزيرة وحدها ، بل ظهر في المعمور من الأرض كلها قبل مضي نصف قرن من الزمان ، ظهر في إمبراطورية كسرى كلها ، وفي قسم كبير من إمبراطورية قيصر ، وظهر في الهند وفي الصين ، ثم في جنوب آسيا في الملايو وغيرها ، وفي جزر الهند الشرقية ( إندونيسيا ) ، وكان هذا هو معظم المعمور من الأرض في القرن السادس ومنتصف القرن السابع الميلادي .

وما يزال دين الحق ظاهراً على الدين كله حتى بعد انحساره السياسى عن جزء كبير من الأرض التى فتحها وبخاصة أوربا وجزر البحر الأبيض ، وانحسار قوة أهله في الأرض كلها بالقياس إلى القوى التى ظهرت في الشرق والغرب ، أجل ، ما يزال دين الحق ظاهراً على الدين كله من حيث هو دين فهو الدين القوى بذاته ، القوى بطبيعته ، الزاحف بلا سيف ولا مدفع من أهله .

وما يزال هذا الدين ظاهراً على الدين كله في حقيقته ، بل إنه هو الدين الوحيد الباقي قادراً على العمل والقيادة في جميع الأحوال ، ولعل أهل هذا الدين هم وحدهم الذين لا يدركون هذه الحقيقة اليوم ، فغير أهله يدركونها ويخشونها ويحسبون لها في سياستهم كل حساب .  
ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

- ١ - المؤمن يوقن تماماً أن الأمر كله لله ، وأن الخيرة ما اختاره الله ، والله يريد به الخير .
- ٢ - المؤمن يراقب ربه في كل خالجة وكل حركة ، فلا يتبطر ولا يطغى ، ولا يغضب لذاته ، إنما يغضب لربه ودينه .
- ٣ - دين الله قوى بذاته وطبيعته ، زاحف بلا سيف ولا مدفع من أهله لما في طبيعته من استقامة مع الفطرة .

### معاني الكلمات :

يبتغون : يتطلعون .

شطأه : فراخه .

فأزره : قواه وأعانه .

على سوقه : على أصوله .

تقدموا : تقدموا .

تحبط : تبطل .

يغضون : يخفزون .

امتنح : أخلص وأصفى .



### الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نعلم صفة أصحاب رسول الله ﷺ تلك الجماعة المختارة .

٢ - أن نتعلم الأدب اللائق مع الله ورسوله ﷺ .

٣ - أن نتعلم الأدب الأليق في الحديث والخطاب عن رسول الله ﷺ .

### المحتوى التربوي :

نجىء إلى ختام السورة بتلك الصورة الوضيئة التى يرسمها القرآن لواقع صحابة رسول الله ﷺ ، وبذلك الشاء الكريم على تلك الجماعة الفريدة السعيدة التى رضى الله عنها ، وبلغها رضاه فردًا فردًا ، صورة عجيبة مؤلفة من عدة لقطات لأبرز حالات هذه الجماعة المختارة ؛ فلقطة تصور حالتهم مع الكفار ومع أنفسهم ، فهم أشداء على الكفار وفيهم أبأؤهم وإخوتهم وذوو قرباتهم وصحابتهم ولكنهم قطعوا هذه الوشائج كلها ، رحاء فيما بينهم وهم فقط إخوة دين ، فهى الشدة لله والرحمة لله ، وهى الحمىة للعقيدة ، والسماحة للعقيدة ، فليس لهم فى أنفسهم شىء ، وهم يقيمون عواطفهم ومشاعرهم كما يقيمون سلوكهم وروابطهم على أساس عقيدتهم وحدها .

ثم يختار من هيئاتهم وحالاتهم ، هيئة الركوع والسجود وحالة العبادة ، وكأنها هذه هيئتهم الدائمة التي يراها الرائي حينما رآهم ، وتأتى اللقطة الثالثة لبواطن نفوسهم وأعماق سرائرهم ، وهى صورة لمشاعرهم الدائمة الثابتة ، فكل ما يشغل بالهم وكل ما تتطلع إليه أشواقهم هو فضل الله ورضوانه ، ولا شئ وراء الفضل والرضوان يتطلعون إليه ويشغلون به .

واللقطة الرابعة تثبت أثر العبادة الظاهرة والتطلع المضمر فى ملاحظتهم ، ونضحها على سماتهم ؛ سيماهم فى وجوههم من الوضوء والإشراق والصفاء والشفافية ، ومن ذبول الحى الوضىء اللطيف ، وليست هى هذه السيمياء النكتة المعروفة فى الوجه كما يتبادر إلى الذهن ، فالمقصود بأثر السجود هو أثر العبادة ، وهذه الصورة الوضئية ليست مستحدثة ، إنما هى ثابتة لهم فى لوحة القدر وجاء ذكرها فى التوراة .

وصفتهم فى بشارة الإنجيل بمحمد ﷺ ومن معه ؛ كزرع نام قوى أخرج أول ما ينشق عنه من الفروع ، والنبت الطرى فى جوانبه من قوته وخصوبته ، وهذه الفروع لا تضعف العود بل تشده ، فاستغلظ الزرع وضخمت ساقه وامتلات ، فاستوى لا معوجا ومحنيا ، ولكن مستقيما قويا سويا ، هذه صورته فى ذاته ، أما وقعه فى نفوس أهل الخبرة فى الزرع فهو وقع البهجة والإعجاب ، وأما وقعه فى نفوس الكفار على العكس : فهو وقع الغيظ والكمد ، وهكذا يثبت الله فى كتابه الخالد صفة هذه الجماعة المختارة حتى تبقى نموذجا للأجيال تحاول أن تحققها ، لتحقيق معنى الإيمان فى أعلى الدرجات ، وفوق هذا التكريم كله وعد الله بالمغفرة والأجر العظيم

### سورة الحجرات

أول ما يبرز للنظر عند مطالعة السورة ، هو أنها تكاد تستقل بوضع معالم كاملة لعالم رفيع كريم نظيف سليم ، متضمنة القواعد والأصول والمبادئ والمناهج التى يقوم عليها هذا العالم ، والتى تكفل قيامه أولا ، وصيانته أخيراً ، عالم يصدر عن الله ويتجه إلى الله ، ويليق أن ينتسب إلى الله ، عالم نقى القلب نظيف المشاعر ، عفى اللسان ، وقبل ذلك عفى السريرة .

هو عالم له أدب مع الله ، ومع رسول الله يتمثل هذا الأدب فى إدراك حدود العبد أمام الرب والرسول الذى يبلغ عن الرب ، فلا يسبق العبد المؤمن إلهه فى أمر أو نهى ، ولا يقترح عليه فى قضاء أو حكم ، ولا يتجاوز ما يأمر به وما ينهى عنه ، ولا يجعل لنفسه إرادة أو رأيا مع خالقه ، تقوى منه وخشية ، وحياء منه وأدبا ، فيأبى الذين آمنوا لا تقترحوا على الله ورسوله اقتراحا ، لا فى خاصة أنفسكم ، ولا فى أمور الحياة من حولكم ، ولا تقولوا فى أمر قبل قول الله فيه على لسان رسوله ، ، ولا تقضوا فى أمر لا ترجعون فيه إلى قول الله وقول رسوله .